النفط

PETROLEUM

لا يخفى ان السفن البخارية تجارية كانت او حربية صار الجديد منها يسير بالبترول لا بالفحم الحجري ، وكثير من القديم أبدلت آلاته حتى يستعمل فيها البترول بدل الفحم الحجري . فاذا لم يكن لدى دولة من الدول منابع بترول كافية ودائمة فلا تستطيع ان تنافر غيرها في التجارة البحرية ولا في الحروب . فالعربات والسيارات والقواصات عدا البوارج الضخمة تسير كلها به فهو من ألزم اللوازم في الحروب البرية والبحرية والجوية . وهذا منشأ ما للبترول من المقام الكبير في مجامع الدول . وقد اتحفنا الزعيم الدكتور امين معلوف المعروف لدى قراء المقتطف بمعجمه الطريف في « علم الحيوان » ببحث لغوي تاريخي في هذا الموضوع نرف الى القراء الجانب الاول منه فيما يلي :

١ — تحقيق لغوي

النفط والقار والقير والكفر والقفر وقفر اليهود والحمر والزفت والمومياء والقطران مواد هدروكربونية مؤلفة من الهدروجين والكربون على نسب مختلفة. والعلماء في ايامنا يطلقون القار وهو بتومن عند الرومان على جميع هذه المواد سواء كانت جامدة كالحمر او سائلة كالنفط او هوائية كالغاز الخلقي

فالنفط بكسر اوله واسكان ثانيه وقد يفتح اوله دهن معدني ابيض او اسود ضارب الى الخضرة سريع الاحتراق يسمى باللاتينية بتروليوم اي دهن الحجر او زيت الصخر . ولفظة النفط عربية سامية قديمة جداً اخذها اليونان عن العرب وقالوا نفتا وهي معناها . ومما يدل على اصلها السامي انها بالسريانية والعبرانية مثل العربية مع اختلاف قليل في اللفظ . ثم ان اليونان كانت اول معرفتهم بالنفط في العراق وكان من البديهي ان يسموه نفطاً كما سماه العراقيون من سريان ويهود وعرب ولعله سمي بذلك لخروجه من باطن الارض كما يتضح من مادة نفط ومشتقاتها في كتب اللغة كذلك نفث ونبط ونبض ونبص ونبث ونبش واشباهها فكلها تدل على الخروج او الدفع ثم تفرّع من ذلك معنى الاحتراق كقولنا تنفّط الرجل غيظاً اي احترق

ومن اسماء النفط زيت الصخر وزيت الجبل ودهن الحجر ودهن الصخر والدهن المعدني وقد ذكر اطباء العرب هذه الاسماء كلها . وفي مصر معدن منهُ في

جبل سماهُ العرب جبل الزيت ولا يزال يعرف بهذا الاسم الى يومنا وسماهُ الرومان منس بتروليوس اي جبل زيت الصخر او جبل الزيت كما قال العرب . وليست لفظة بتروليوم قديمة عند الرومان ولم ترد في فصيح كلامهم قالهُ السر بنسرتس رودود وكان عالماً جيولوجيًّا خبيراً في النفط ولهُ مطول فيهِ اخذت عنهُ شيئاً كثيراً مما ورد في هذه المقالة (١)

والنفط كما تقدم لفظة عربية فصيحة وهي شائعة عند العراقيين يقولها خاصتهم وعامتهم ويريدون بها هذا الدهن او الزيت المسمَّى بالبترول او البترويوم عند الافرنج وهم يسمون الخثي منهُ بالنفط الاسود اما الصافي المكرَّر المعروف في مصر والشام بزيت الكاز فانهم يسمونهُ النفط فقط او النفط الابيض . على ان بعض كتَّابهم اخذوا يقولون البترول وزيت الكاز نقلاً عن الجرائد المصرية والشامية ولكنهُ نادر جدًّا . وجذا لو شاعت لفظة النفط بين كتاب العربية في مصر والشام كما هي شائعة في العراق عوضاً عن البترول او زيت البترول فهذه معناها زيت زيت الصخر بتكرار لفظة الزيت فليحتفظ بالنفط ولو بالاسم . ومن اسماء النفط التي ذكرها علماء العرب قَطِرَّا وقَطِرَان وكلاهما بمعنى زيت الصخر او دهن الصخر كما مر (انظر بطراون في ابن البيطار ومادة خلق في معجم دوزي)

والقار او القير هو ما سمَّاهُ الرومان «بتومن» ومنهُ الاسم الفرنسي والانكليزي وهو اسفَلْتُس عند اليونان ومنهُ اسفلت بالفرنسية والانكليزية واللفظة مأخوذة من الزفت العربية وهي بالسريانية والعبرانية كالعربية مع اختلاف قليل في اللفظ فصار زفتا يونانيًّا وثم اسفلتساً ثم تفرنج ودعي اسفلطاً قالهُ دوزي عن ابي الوليد ثم تدمشق وتمصر وصار اسفلتاً اما اهل العراق فقد ابقوا اسمهُ العربي الآخر وهو القير وهم يشتقون منهُ فعلاً ويقولون قيَّر السفينة وقيَّر الطريق وكلهُ فصيح لا عجمة فيهِ . واصل القير هذا والجير اي الكلس اصلهما واحد في اللغة لان القاف والجيم يتبادلان في اللفظ فالعراقيون يلفظون القير كما يلفظ اهل القاهرة الجير واحياناً كما يلفظها اهل الصعيد ويلفظون القيَّار والقيَّارة اي صانع القير ومكان القير كما يلفظ اهل القاهرة الجيَّار والجيَّارة . ثم ان القير والجير كلاهما ملاط وكان ملاط القدماء من اهل العراق

(1) A Treatise on Petroleum by Sir Boverton Redwood, Bart., D. Sc., F. R. S. E., etc., London 1926

القير ولا يزال كذلك في بعض الاحيان ثم استعاضوا عنهُ بالطين ولكنهم لا يسمونهُ حيراً كما في مصر بل كورة . والحير كالقير اي بكسر الحيم وفتحها في محيط الخيط خطأ مطبعي

والحُمَر هو القير واللفظة عربية سامية وهي حَمَر بالعبرانية باختلاف في الحركات وقيل لي انها تلفظ حَمَار وقد سُمّي الحُمَر بذلك لاحمرارهِ لان مادة حَمَّر بالعربية تدل على الحرارة او الاحتراق . او كما جاء في معلمة التوراة [1] لانهُ اسود ضارب الى الحمرة على اني ارجح ما ذكرتهُ كما سيأتي في حَمَارة يثار طاش . والحمر معروف في جبل الشيخ وغيره من انحاء الشام باسمهِ هذا والعامة في الشام تشدّد الميم

والكفر والقُفر وقُفر اليهود وقفر اليهودية والقُفر البابلي هو الحر وقد ذكر اللغويون الكفر بهذا المعنى ولكنهم لم يذكروا القفر فيما اعلم وانما ذكرها الاطباء وضبطها لكلار بالفتح ولم يضبطها دوزي واظنها بالضم كالكفر وهي كفر (Kopher) بالعبرانية وتكتب بالكاف لا بالقاف. ولعل اطباء العرب انفوا من كتابتها بالكاف لكي لا يقال كُفر اليهود فقالوا قُفر اليهود . وعلى كلّ فاللفظة سامية وهي كما جاء في معلمة التوراة كُفَر بالعبرانية وكُفْر او كُفْر بالاشورية . أما قفر اليهود وقفر اليهودية فهو الحر الذي يخرج من التنور اي غور اريحا والقُفر البابلي القير الذي يخرج من هيت على الفرات وكان البابليون يقيرون ابنيتهم وقفانهم بهِ كما يفعل العراقيون الآن ولم اسمع الكفر او القفر من العامة في العراق والشام وربما كان معروفاً بهذا الاسم في فلسطين على اني لم اسمعهُ . وكفري بلدة في العراق وكفرية قرية بالشام وكلاهما نسبة الى الكفر وهو معروف فيهما

والزفت ضربان معدني وصناعي فالمعدني هو الحر او القير والصناعي هو ما يبقى من تقطير القطران سواء كان قطران الفحم او قطران الخشب . واللفظة عربية سامية كما مر في الكلام على القار

والمومياء وتسمّى القطران المعدني ضرب من القار وهي مادّة سوداء لزجة بين النفط والحُمَر كان المصريون يحنطون موتاهم بها وقد وجدها العرب في القبور وفي كهوف بلاد فارس واليمن فسموها المومياء نقلاً عن المصريين فان الموم بالقبطية معناهُ الحُمَر والمومياء الجثة المحنطة قالهُ السر بفرتن ردّوُد وقيل انها من موم بالفارسية

(١) Encyclopedia Biblica

ومعناهُ الشمع فسماها العرب مومياء لمشابهتها اياهُ في قوامهِ . ولا ادري اي القولين اصح ولكنها ليست يونانية كما جاء في بعض كتب اللغة ولعل احد الباحثين باللغة القبطية يجلو هذه المسألة . ولم يختلف على ابن البيطار وغيره من علماء العرب ان المومياء هي الحمر او القار . ومن اسمائها باليونانية بسفلتس اي زفت الحمر وباللاتينية لمثة من ملثة باليونانية اي الملاط وربما كانت سامية الاصل لان ملاط القدماء كما مرَّ كان قيراً ومنهُ المقير اي أُور الكلدانيين على مقربة من الناصرية

ومن المومياء نوع يصنع منهُ شمع يستضاء بهِ واسمهُ عند الافرنج أُوزُوقريط ومعناهُ انشمع المنتن ولعل اصلح اسم لهُ بالعربية القير المنتن او المومياء المنتنة. ولا يخفى ان قيرس باليونانية وهو الشمع كالقير بالعربية وهو الحمر

والقطران وفيهِ لغات سيّال يستخرج من الشربين والارز والتنّوب ومنهُ قذريا باليونانية وهو بمعناهُ وقذرُس وهو الشربين والأرز ومنهُ ارز لبنان بالانكليزية والفرنسية وكلهُ من مادة قطر بالعربية او من اصل سامي آخر شبيه بهِ كما يستدل من معاني هذه المادة وما اشتق منها كالقطران فقد سمي بذلك لانهُ يقطر او يسيل من هذه الاشجار . والقطران اصناف منهُ قطران الخشب وهو الذي تقدّم ذكرهُ وقطران الفحم وهو يستخرج من الفحم الحجري والقطران المعدني وهو المومياء كما ذكرنا آنفاً

وهذه المواد كلها متشابهة التركيب متفاوتة القوام لا يعرف متى ينتهي الواحد منها ولا متى يبتدئ الآخر على ان الغالب فيها ان النفط يخرج سائلا ويبقى كذلك والقار يخرج مائعاً ثم يجمد والحمر يكون في جوف الارض جامداً والمومياء بين بين . وقد اطلق علماء الجولوجية لفظة القار على هذه المواد كلها سواء كانت جامدة او مائعة او هوائية فيمكن ترجمتها وتعريفها كما يأتي لكي تنطبق على العلم الحديث

معجم موجز

القار والقير (Bitumen) الحُمَر او الزفت المعدني . وعند العلماء معدن سريع الاشتعال يشمل النفط والحمر والنازات الخلقية وكلها مواد هدروكربونية مؤلفة من الهدروجين والكربون على نسب مختلفة

(١) الحُمَر والكفر والقفر والقير (Asphalt) ضرب من القار الاسود وهو صلب قصم لماع فاذا أُحمي لان وتلزّج . منهُ صنف في هيت من اعمال العراق يعرف بالقفر البابلي وصنف في غور اريحا يعرف بقفر اليهود (Jew's Pitch) وقفر

اليهودية (Bitumen or Judea) وصنف في جبل اشيخ تراب حاصبيا يعرف بالحمر وقد ذكر اطباء العرب جميع هذه الاسماء

(٢) قيَّر او زفت (To Bitumenize or Asphalt) اي طلى بالقير او الزفت

(٣) المومياء (Mummia) (ا) ضرب من القار فين لزج بين النفط والحمر كان المصريون يحنطون موتاهم به (ب) والمومياء الجثة المحنطة

(٤) (Maltha) الملاط (ا) ما يملط به كالقير والجصّ والكلس (ب) المومياء وهي ضرب من القار

(٥) الزفت (Pitch) مادة هدروكربونية سوداء صلبة تحترق وهو نوعان معدني (Mineral Pitch) وهو الحمر او قفر اليهود (Jew's pitch) وصناعي وهو ما يبقى من تقطير القطران

(٦) زفَّت (To pitch) اي طلى بالزفت

(٧) القطران (Tar) سيال اسود يحترق وهو اصناف صنف يستخرج من شجر التنوب ونحوه ويقال لهُ قطران الخشب وصنف يستخرج من الفحم الحجري يقال لهُ قطران الفحم وصنف يكون معدناً في جوف الارض يقال لهُ القطران المعدني او المومياء وهو أشد قواماً من الصنفين الآخرين

(٨) قطر وقطرَن (To tar) اي طلى بالقطران

(٩) المومياء المنتنة (Ozocerite) ويقال لها القير المنتن والقير الابيض ضرب من المومياء يصنع منهُ شمع يستضاء بهِ والافرنج يسمونها اوزوقريط ومعناها الشمع المنتن

(١٠) النفط (ا) (Petroleum) دهن معدني ابيض او اسود ضارب الى الخضرة سريع الاحتراق ومن اسمائه دهن الحجر وزيت الصخر (ب) والنفط (Naphtha) سائل طيار سريع الالتهاب يستخرج من النفط الاسود والاصلح تسميتهُ بالنفثة متى كان بهذا المعنى

(١١) الغاز الخلقي (Natural Gas) غاز يخرج من جوف الارض سريع الالتهاب جداً وقد يلتهب من ذاته متى مسَّ الهواء كما في باكو وكركوك واضالية

والمواد التي تستخرج من النفط والقطران كثيرة جداً لا اسماء لها بالعربية والاصلح وضع الفاظ لبعضها وترجمة البعض الآخر او تعريبهُ اذا تعذَّرت ترجمتهُ

بغداد امين مسلوف